فالروح ثورية وطليعية وسيف الاعتقال يهدد الجميع وان استطالت الدورة التنظيمية في مرحلة العمل الحزبي، إذ كان يتعرض الكادر للاعتقال كل سنة أو سنتين فأصبح يصمد في الميدان خمس وسبع سنوات وسمحت بتنشئة كادرات ومراكمة امتدادت وإكتساب خبرات على طريق بناء فريق قيادي، ناهيكم عن التصليب الأمني والتجذير الأيدلوجي، وهذه خصيصة رئيسة من خصائص العمل الحزبي الثوري في الداخل، وإن لم تتوافر ليس ثمة حزب ولا ما يحزنون، وليس ثمة قيادة بطبيعة الحال لان الجسم التنظيمي في نهاية الأمر مرآة لها.

وبات الكادر الذي لا يحمي مرؤوسيه ومجال عمله في الزنازين يسقط دون رجعة، بل مجرد اعتقاله لا يحظى بترحاب، وان تماهل أو تثاقل يتم عزله وتبديل مهامه دون إبطاء، وان كف عن الإجابة عن أسئلة العمل وأسئلة الرفاق يكتشف من تلقاء نفسه أنه غير صالح لخانته ضمن مقولة (مطلوب جهاز لتنفيذ سياسة وليس سياسة لإرضاء جهاز) لينين، وبالتالي تكليفه بمهام قادر على النجاح فيها، فكلمة فشل مذمومة تماماً.

هذه حال قيادات المناطق والمنظمات المحيطة، فعلى أجندتها سلسلة مهام مستخرجة من الخطة والقرارات المستحدثة، منها الدائم ومنها المتصل بالمتغيرات. والمعيار هو إنجاز المهام ودرجات الانجاز. فلا تلم المرأة إن أخطأت أو قصرت، ناهيكم عن معيار المقارنة بين المنظمات واللجان حيث يتضح حجم المراس ومستوى الوعي والدافعية الثورية.... ومع مرور الزمن انتشرت مناخات تستوعب هذه المقاييس التي غدت القاضي الذي يصدر الحكم. وما المستوى الأعلى سواء كان هيئة أو مسؤول فرد سوى لسان حال هذه المقاييس، وهي تنسحب عليه قبل غيره مع تشديد في التطلب فالذي يقف في المقدمة يطالب بأكثر من سواه، إنجازات، تضحية، صموداً، استقامة، خلق مآثر وإبداعات..... وأية مرتبة حزبية مركزية تحاكم هنا حصراً، وأي تراخٍ هنا يفضي لا محالة إلى عد تنازلي يهدد وجود ودور الحزب، ولا امتيازات لها إلا المزيد من الانجازات. كانت المسؤولية شرفاً لا ترفاً، أما المرتبة فهي مجرد شكل ويحظى بأهميته حينما يقترن بمحتوى يناظره، أما رفقاء العمل فينظرون للمحتوى، إذ يندر الحديث عن المرتبة، فهي أقرب للسرية أو سرية ولا يعلن عنها أمام المرؤوسين وفي كثير من الأحيان لا يعلن عنها أمام نفس المستوى، فما يجمع المستوى هو المحتوى والمهام لا الألقاب، والأعضاء المركزيون غير معروفين إلا لدى المسؤول الأول. ولم يكن نادراً أن يتولى مفصل أدنى مرتبة مهام أوسع من مهامهم اتصالا بالحراك التنظيمي، سيما ان أغلبيتهم حظيت بعضويتها المركزية أثناء وجودها وراء جدران السجن، وليس اتصالا بمتطلبات العمل الحي الذي يملي حراكاً مختلفاً وسجايا مرتبطة به.

تجدر الإشارة إلى أن المهمات هي التي كانت تشغل بال المركزيين وليس ألقابهم، والمرؤوسون ينظرون لهم من خلال دورهم وليس مراتبهم، على خلاف العمل المكتبي والمشهدي الذي يظن أن له أهمية لان له مرتبة ومكتباً ويتحدث لوسائل الإعلام.... لقد جرى تخريب المقاومة بعد تغطيسها في العلانية والمهرجانية والمشهدية التي حلت بتدرج محل الأجسام التنظيمية والروح الثورية وابتعدت عن العمل الحقيقي، وكأننا أنجزنا مرحلة التحرر الوطني!!

لقد فهمنا الديمقراطية كمزيد من الحوار ومزيد من المشاركة في صناعة العمل وصناعة العقل الجماعي،